كامل كيلانى

بقلم الأستاذ الشاعر محمود أبو الوفا

(الاستاذ كامل كيلانى)

اسم يملأ كل مكان ، وجسم لا يشغل أكثر من مساحة الكرسى الخيزران الذى يجلس فيه أى موظف فى ديوان .

لا تكاد الصحف العربية تخلو يوماً واحداً من الانتقاد أو التنويه عن كتاب جديد ظهر بقلم كامل كيلانى . ولا تكاد أيها القارىء تمر على مكتبة إلا وتجد وجهتها الأمامية رصعت ترصيعاً بل احتلت احتلالا ، بكتب هذا المؤلف كامل كيلانى . وهكذا ظل يتردد هذا الاسم بين الثناء والهجاء ، ويتكرر بين الألسن والشفاه ، فى أندية الأدباء وفى أنهر الصحف ، حتى اجتازت شهرته حدود الوطن ، والشهرة إذا اجتازت حدود أوطانها ، فليس فى قدرة أحد أن يردها عن غاية ، أو يقف بها عند نهاية . بل ليس يملك أحد أن يلقاها فى سرعتها ليسألها إلى أين ؟

وقد تماً وقف الشاعر ينشد النبى صلى الله عليه وسلم قصيدته حتى بلغ الى قوله :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنبغى فوق ذلك مظهرا

فوقف النبى سروراً وقال له : إلى أين ياأبا مالك . فلم يملك الشاعر أن يجيب أكثر من أن قال : إلى الجنة بك إن شاء الله يا رسول الله . فقال لا فض فوك .

وقد حسب بعض فقهاء الأدب أن هذا الجواب من أجوبة البديهة الحاضرة ، وسرعة الخاطر النادرة . ولكن الحق الذى لا مراء فيه ، أن جواب الشاعر ليس فيه أكثر من أنه قال الحقيقة ، ونجا من الاتهام . فقد كان الشاعر يعرف كما يعرف غيره من عامة الناس أن شهرة الاسلام جاوزت حدود وطنه الأول . وكذلك كان يعرف الشاعر ببداهة الفطرة المفروضة

فيه كشاعر أن الشهرة متى جاوزت هذه الحدود فقد تغلبت على عناصر التثبيط ، ولابد لها أن تسير إلى آخر المدى الذى يشاء الله — وعلى هذه القاعدة التى لا يمكن أن تشذ من أقدم عصور التاريخ إلى الآن . لم تكد شهرة الأستاذ كامل كيلانى تصل إلى حدود مصر الشرقية حتى طارت فاذا بها ملء المشرقين .

لن أنسى يوماً كنا فى حفلة سنوية لاحدى مدارس مصر الأهلية . وكان الأستاذ كامل كيلانى أحد المدعوين . وقد انتهى خطباء الحفلة من خطاباتهم . وقام صاحب الدعوة يشكر الذين لبوا دعوته عامة وأبى أن يخص بالذكر إلا الأستاذ كيلانى خاصة . وكنا نتأهب للانصراف لأن كلمة الشكر لا تكون كما هو العرف فى هذه الحفلات الا بمثابة جرس الانصراف

لن أنسى أن صاحب الحفلة لم يكد يذكر اسم الأستاذ كامل كيلانى حتى رأينا شاباً يندفع كالقذيفة إلى جهة المنبر وإذا به فوقه ، فاشرأبت الأعناق إلى المنبر ، وانحبس الناس عن الانصراف واندهشوا . واندهش صاحب الحفلة معهم ، ولكنه ماذا يصنع فى حماسة هذا الشاب ، وفى اندفاعه سوى أن يسأله ، ماذا يريد أن يقول ؟

لقد تهامس الناس وقتئذ أن الشاب ليس مصرياً ، ولقد ظهر حقيقة أنه من جاوه . وأنه لم يهبط مصر إلا منذ أسابيع ولم يحضر لهذه الحفلة إلا تبعا لرصفائه الذين سبقوه إلى مصر من طلبة البعثة الجاوية .

ويحك أيها الشاب الجاوى لقد حبست الناس ليعرفوا ماخطبك أو ليستمعوا رأيك ، لأنك غريب ، والناس فى هذا البلد يهتمون كثيراً لرأى كل غريب ! !

أراهنكم أيها القراء جميعاً ، واثقاً أن أحداً لن يستطيع أن يربح الرهان لأنه لن يستطيع أحد أن يعرف ماذا أراد هذا الشاب أن يقول ، وأى المعانى قام بنفسه فأحس أنه سيختنق ان لم يفض به إلى الناس .

قل أنت أيها الشاب ماذا تريد ؟ لقد تكلم ولكنه لم يبن ، لأن لهجته لا تزال جاوية صرفة إذن ليقف أحد زملائه ليفصح لنا عن رأيه فاذا بهذا المترجم يقول : إن مواطنه الشاب سمع صاحب الدعوة يذكر اسم الأستاذ كامل كيلانى المؤلف المصرى العظيم . وإنه كان فى جاوه يقرأ مؤلفات هذا العالم الأديب ، وطالما كان يتمنى نفسه برؤيته . وإنه لا يمكنه وقد عرف أنه أحد الحاضرين فى هذه الحفلة أن يترك هذه الفرصة المنشودة تمر من غير أن ينتهزها ليعلن تحيته وإعجابه العظيمين لهذا الأستاذ النابغة العظيم .

لكم أيها القراء أن تصفوا كما شئتم مبلغ الفخر القومى الذى شعر به المصريون الحاضرون فى هذه الحفلة . ولكنى أؤكد لكم أن هذه الهزة الفخرية التى شعرت بها ليلتئذ كمصرى ينتسب إلى وطن هذا المؤلف ، و إلى صداقته المشرفة ، لا تزال تعاودنى كلما دعيت إلى حفلة من هذا القبيل . بل كلما لقيت جاوياً فى الطريق :

على حين أن مضى على تلك الذكرى بضع سنوات . وأستطيع أن أصرح الآن بأن كلمة هذا الشاب وقعت عندى موضع البرهان من النظرية ، فانى منذ لقيت كامل كيلانى أول مرة كنت أقدر أن أدبه من نوع الادب الخالد . وكنت كلما ازددت به معرفة ازددت بهذا الرأى إيماناً ولكنى كنت أخشى أن أصرح بنظريتى هذه حتى لكامل نفسه لأنى لم اخرج وقتئذ عن كوني واحداً من الناس الذين لا يؤمنون بالعظمة الأدبية إلا اذا غلفت بمثلها من العظمة الحسية، ولم يرزق كامل هذا النوع الأخير لانه لم يرزق بسطة فى الجسم ولا بسطة في المال .

لذلك فقد كان الايمان بعظمة أدب كامل محتاجاً الى فراسة المؤمن الذى ينظر بنور الله ، او الى مثل هذا البرهان الذى جاءنا به هذا الشاب الجاوى النجيب .

إن ادب كامل كيلانى حرى باحراز الشهرة التى نالها باستحقاق فى الشرق كله . لأنه ادب اسس من المواهب والكفايات — على ما يشبه الاسمنت المسلح — فأنت من اى النواحى تجيء إلى كامل تجده من امتن ما بنى الله من الأدباء .

عرفنا ادب كامل ايام كان يشرف على تحرير جريدة الرجاء . فاذا بنا نراه يتولى هذه الجريدة وهي احدى الوريقات . فماهي الا جولة من جولات قلمه الساحر ، كأنما حرك بها الفلك . فاذا به يدور بهذه الجريدة دورته التمين ، واذا بها فى عشية وضحاها جريدة النهضة الفكرية فى مصر يكتب فيها الاساتذة : وجدى .. والمنفلوطى .. والعقاد .. والمازني .. وشكرى .. وصدقى وغير هؤلاء جميعاً من كبار قادة الكتاب المصريين .

فبرهن الاستاذ كامل على أنه من اقدر الكتاب رؤساء تحرير الصحف . واذا بالناس يحسبونه لا يحسن من انواع الادب الا هذا الادب الصحفى الرائع الذي يرونه فى «الرجاء» وتناقل الناس ثناءه على انه اديب صحفى ممتاز لا أكثر ولا اقل . وظن الناس أنهم لن يجدوا فى أدبه اكثر من هذا الجانب من الادب . واذا هم فى صيحة كأنما نفخ فى الصور . واذا بأدباء العصر جميعاً يطالعون لكامل رسالة الغفران ، وديوان ابن الرومى ، ونظرات الادب الاندلسى .

عجب الناس يومئذ ، وحق لهم من جهد هذا الشاب الذى لا يعرفونه الا صحفياً يومئذ . ودهشوا كيف يستطيع وحده أن يبعث ادب المعرى وابن الرومى من هذه الارماس

المطمورة ، والقبور المهجورة ، فيهيء بذلك لهذا العصر الناهض سبيل فقه الأدب الصحيح — وكأنما هذه القيامة الادبية التي بعث فيها رسالة الغفران ، قد انست الناس حكمهم السابق فى كامل فعادوا لا يصدقون انه الاديب الصحفى الممتاز ، وانما هو الاديب الاصولى الذى لا يحسن من انواع الادب الا هـذا الذى يضعه فى قرن صديقيه القديمين ابن الرومى وابى العـلاء . وظل كامل مستمتعاً بزعامته فى هذا الادب الاصولى . فكان كأنه فى اعين معاصريه من المصريين اناتول فرانس فى منزلته من عيون معاصريه الفرنسيين الى أن ظن الناس أنه لا يحسن الا هذا النوع من الادب القديم ، اذا به يفاجئهم مرة اخرى بأقوى وأشد وأعنف مما فاجأهم به فى المرة السابقة ، اذا به ينقلهم دفعة واحدة من الغاية العليا الى مايقابلها من الغاية الاخرى . و بعبارة ثانية ينقلهم من النقيض الى النقيض ، واذا بهؤلاء القراء الذين تعودوا أن لا يجدوا اسم كامل كيلانى الا على أعلى رسائل وكتب الادب ينظرون ، فجأة إلى ذلك الاسم موضوعاً على كتب للاطفال ، وفى شهور لا تعدو العام تمتلئ مكتبات مصر وفلسطين وسوريا والشرق كله بكتب الاطفال تاليف كامل كيلاني .

بل ها هى بعض الجمعيات الاجنبية فى مصر تسرع وتقرر على أطفال مدارسها هذه الكتب دون سواها . وكذلك فعلت بعض البلدان القريبة ، وأظن أن فلسطين على وشك أن تفعل . فقد علمت من مكتبة المعارف أن فلسطين أرسلت فى طلب كميات كبيرة من كتب الأستاذ كيلانى التى طبعتها هذه المطبعة اخيراً للاطفال . وها هى المكاتب العربية الكبرى تتسابق إلى شراء حقوق طبع كتب الأطفال تاليف الأستاذ كامل كيلانى . وهاهم الناس على عاداتهم فى نسيان أحكامهم السابقـة ينسون أو يكادون ينسون أنهم إلى الأمس القريب اطلقوا عليـه لقب صديق ابن الرومى وصديق ابى العلاء . ويعودون يحكمون عليه من جديد بأنه صديق مكتبة الأطفال . ولسنا ندرى بعد شهور اخرى ماهو الجانب الأدبى الذى سوف يختاره كامل كيلانى ليكشف للناس عن مقدار نبوغه فيه .

يظهر لى أن السبب فى تاليف كامل الكيلانى للكبار جداً ، ثم عودته الى التأليف للصغار وللصغار جداً — يظهر لى أن هذا السبب لا يرجع الا الى اللذة التى لا يلتذ كامل بشيء ألذ منها وهى الجمع بين النقيضين ، والاتيان بما يقول الناس عنه إنه مستحيل ، ولا أتردد فى القول بأن هواء الجبل الذى لا يبعد سوى بضع دقائق عن البيت الذى ولد ونرعرع فيه الاستاذ كامل اكبر

(البقية على صفحة ٧٥١)